مجلة رفوف – مخبر المخطوطات – جامعة أدرار – الجزائر ـــــــــــــــــــــــ المجلد: 10 / العـدد:02 (جويلية2022) ص 35– 65
ISSN: 2335-1381 EISSN: 2602-5949 Legal Deposit: 2013-6352

الطب الشعبي في الجزائر العثمانية من خلال مخطوط ""إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة"

Popular Medicine in Ottoman Algeria through the Manuscript of *"Ilaam Ahel Al Qariha Bi El Adwia ASahiha"*

زينب اخلف [1]
Zineb IKHLEF[1]
1 جامعة الجزائر 02 أبو القاسم سعد الله (الجزائر)، zineb.ikhlef@univ-alger2.dz

تاريخ الاستلام: 2022/03/01	تاريخ القبول: 2022/06/11	تاريخ النشر: 2022/07/14

الملخص :

إن الوضع الصحي في الجزائر خلال الفترة العثمانية تميز بتدهور وسوء الأوضاع الصحية، وانتشار الأمراض والأوبئة التي انعكست سلبا على الوضع المعيشي والنمو الديمغرافي للسكان، ونتيجة لتلك الأوضاع اعتمد المجتمع الجزائري على الطب الشعبي الذي كان ملجأ لمواجهة بعض الأمراض، والذي كان يعتمد أساسا على الأعشاب من خلطات ودهانات فكانت الوسائل العلاجية بسيطة، هذا وكانت المصادر الأجنبية التب كتبها كل من الرحالة والأسرى تنظر للطب الشعبي على أنه عبارة عن ممارسات غريبة وخرافات، وأن أغلب المتطببين من السكان كانوا يمارسون السحر والشعوذة، وعلى الرغم من كل هذا فقد كانت بعض الوصفات تفي بالغرض لعلاج الأمراض غير المستعصية في حين فشلت في مواجهة الأوبئة الفتاكة، سنحاول في دراستنا هذه التعريف بالطب الشعبي وطرق علاجه وكيفية امتزاجه بالسحر، وذلك اعتمادا على مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية وبعض المصادر المحلية والأجنبية بهدف عمل مقارنة بين النظرة المحلية والغربية.

الكلمات المفتاحية: الطب الشعبي، مخطوط، المجتمع الجزائري، الفترة العثمانية، الطب والخرافة، السحر والشعوذة.

Abstract: The health situation in Algeria during the Ottoman period was characterized with deterioration, poorness, and the spread of diseases and epidemics that had a negative impact on the vivid circumstances and the demographic growth. Consequently, the Algerian society resorted to the popular medicine, which relies on herbs and oils, to face some diseases. Thus, the therapeutic means were simple. In the same context, the foreign sources written by the travellers and prisoners considered popular medicine as mythical and weird practices. Moreover, these sources considered that the popular medicine healers were practicing witchcraft. Some prescriptions were effective in healing some slight diseases; however, they could not face severe epidemics. Therefore, this paper attempts to define popular medicine, its therapeutic ways, and how it merged with witchcraft. To do so, we relied on a manuscript that is kept in the Algerian national library and some local and foreign sources in order to compare the local vision with the Western.

Keywords: Popular Medicine; Manuscript; the Algerian Society; the Ottoman Period; Medicine and Myth; Witchcraft and Sorcery.

المؤلف المرسل: زينب اخلف، **الإيميل**: zinebikhlef08@outlook.com

1. مقدمة:

إن تطور الحياة الثقافية يرجع إلى تطور العلوم بشقيها النقلية والعقلية التي كان لها أهمية كبيرة واهتمام من طرف الانسان كل على حسب معرفته وتخصصه، غير أن هذه العلوم لم تحظ بالعناية الكبيرة في الجزائر خلال الفترة العثمانية، وذلك راجع إلى تأخر الجانب الثقافي نتيجة اهتمام السلطة العثمانية بالجانب العسكري على حساب الجانب العلمي مما أدى إلى تراجع فكري ملحوظ، وهذه الظاهرة لم تكن في الجزائر فقط بل كانت منتشرة في كل العالم الاسلامي مما أدى إلى تأخر شديد في العلوم.

ورغم ذلك ذكر أبو القاسم سعد الله أن الاهتمام بالعلوم الطبية كان أكبر من العلوم الأخرى في الجزائر خلال الفترة العثمانية وذلك راجع الى حاجة الانسان للتداوي، غير أن فكرة الإيمان بالقضاء والقدر كانت منتشرة بين الناس وإيمان فئة قليلة بضرورة العلاج والتداوي من أجل الحفاظ على صحة الانسان عملا بقول الرسول صلى الله عليه وسلم "العلم علمان علم الأديان وعلم الأبدان"، ولذلك نجد في تلك الفترة بعض المؤلفات والمخطوطات في علم الطب وفروعه.

لقد كان الاهتمام بالطب يعني بالضرورة وجود ممارسات طبية على أساس علمي، غير أننا نجد في تلك الفترة إمتزاج الطب بالممارسات الشعبية والتي امتزجت هي الأخرى ومع مرور الوقت بالخرافات وبعض المعتقدات المرتبطة بالسحر والشعوذة، كما انتشرت في تلك الفترة فكرة أن كل من استعمل الأعشاب طبيب، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى عدم وجود مدارس تهتم بتكوين أطباء أكفاء وعدم وجود مستشفيات للعلاج، وهو ما تعرضت إليه جل المصادر الغربية والتي أشارت إلى الأوضاع الصحية المتردية، وهذا ما سنناقشه لاحقا.

ورغم هذا التراجع الفكري وجد عدد من المتطببين وكذا عدد من المؤلفات في علم الطب وفروعه، ومن أبرز الذين اهتم بالطب ومارسه وألف فيه خلال الفترة العثمانية هو الطبيب ابن حمادوش الذي اعتبر حقا طبيب، وفي هذا الصدد يجدر الإشارة إلى أن ليس كل من ألف في الطب بطبيب، بل كانت سمة العصر الجمع بين العلوم النقلية والعقلية والتأليف فيها أو نقل واختصار من الكتب السابقة، ومن أشهر من ألف في الطب ولم يكن طبيبا هو أحمد بن القاسم البوني وله عدة أعمال ومن بينهم التأليف الذي نحن بصدد دراسته وهو بعنوان إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة.

سنحاول في دراستنا هذه التركيز على دراسة المخطوط والتعريف به واستنتاج من خلاله الممارسات الطبية في المجتمع الجزائري، ودراسة التراث الطبي والمعتقدات الشعبية أو طرق العلاج الشائعة في تلك الفترة بالاعتماد على بعض المصادر المحلية، إضافة إلى الاعتماد على المصادر الغربية وإبراز نظرتها للطب في الجزائر، فما هي

المعارف الطبية السائدة في الجزائر خلال الفترة العثمانية؟ وما هو الطب الشعبي وكيف كانت الممارسات الطبية الشعبية؟ وكيف امتزج الطب بالخرافة والسحر؟

1- تعريف المخطوط

المخطوط جاء بعنوان "إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة"، لمؤلفه أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني التميمي، نسخ في أوائل شهر ربيع الثاني من سنة 1116 هـ/1704 م على يد الناسخ حسن بن أحمد وانتهى منه في سنة 1254 هـ/ 1838م، ويوجد ضمن مجموع مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية تحت رقم 1759م، وهو مبتور الجزء الأول منه فهو لا يبدأ بالبسملة والحمدلة والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم مثلما تكون عليه الصيغة العامة للمخطوطات، ويتكون هذا المخطوط من 28 ورقة غير أن الورقة الأخيرة تتمثل في خاتمة المخطوط كتبت من طرف الناسخ وهي غير مرقمة ويمكن أن نعبر عنها بالورقة 29.

تكون بداية المخطوط من الورقة رقم 11 وذلك كما ذكرنا سابقا مبتور الجزء الأول، وتناول فيها مباشرة أمراض الرحم والعين والأذن ويفتتح المخطوط بقوله :" السابع والخمسون أورام الخصيتن يؤخذ دقيق فول وكمون...ويعمل ضمادا بعد الغسل...شيخ شيوخنا الأجهوري رحمة الله تعالى في فتاويه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من أدام النظر في الصحف متع ببصره مادام في الدنيا ....." (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة ورقة11)، وينتقل بعد ذلك إلى أمراض الأذن وتقديم العلاج المناسب لها، وغيرها من الأمراض الأخرى.

في حين كانت آخر ورقة من المخطوط متمثلة في الورقة 29 ، بينما جاءت خاتمته غير مرقمة، وكانت على شكل أدعية على توفيق الله لإتمام كتابة المخطوط ومما جاء فيها: "...وأن يتقبل منا ساير عملنا بفضله وقبول لنا أجرا اللهم انفعنا فيما علمتنا وزدنا علما تنفعنا به يا كريم...والحمد لله رب العالمين انتهى على يد كاتبه عبد ربه وأسير ذنبه الفقير الى رحمة مولاه الراجي عفوه ورضاه حسن بن أحمد رحمه..." (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة 30)، والواضح أن هذه الأدعية مضافة من طرف الناسخ.

جاء المخطوط في شكله العام غير مقسم إلى أبواب أو فصول بل جاء نصا واحدا من أوله إلى آخره، فاعتمد صاحبه على ذكر المرض مباشرة وبجانبه العلاج كأن يقول مثلا: "...ضيق التنفس شرب الكمون بخل نافع منه نافع أو تبخير بكبريت، السعال والسل حليب ماعز وحليب امرأة ترضع جارية ينفع شربها..." (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة 13)، غير أن صاحب المخطوط قد صنف الأمراض حسب أعضاء

جسم الإنسان مثل أمراض الأذن فيذكر جميع الأمراض المتعلقة بالأذن ومن ثم ينتقل لأمراض العين فيذكر كل مرض ومتعلق بها وهكذا حتى نهاية المخطوط.

2- تعريف المؤلف:

أحمد بن قاسم بن ساسي التميمي البوني ولد ببونة المعروفة حاليا عنابة سنة (1063 هـ/1653م) وتوفي بها أيضا سنة (1139 هـ/1726م)، انتسب إلى أسرة عريقة في العلم والتصوف، تعلم وتثقف على يد والده قاسم وجده محمد الساسي وغيرهم من الشيوخ والعلماء من أفراد عائلته، فساهم في الحياة الثقافية وبرع في عدة علوم منها علم الحديث والفقه، وكانت بينه وبين علماء قسنطينة علاقات علمية ومن بين الذين كان يتواصل معهم بركات بن باديس، ومن ثم واصل طلب العلم خارج الجزائر فكان متنقلا بين المغرب الأقصى وتونس، ومن ثم انتقل إلى المشرق الاسلامي فأخذ في مصر عن الشيخ عبد الباقي الزرقاني وعن الشيخ يحي الشاوي المليانى بعد عودته من الحج وتصدره للإقراء في الأزهر الشريف (بوفلاقة س.، 2004، صفحة 234) (بوفلاقة س.، 2015) (الزركلي، 1986، صفحة 199)، ومن ثم ذهب إلى الحج وكتب عن رحلته الحجازية والتي ما تزال مفقودة و سماها "الروضة الشهية في الرحلة الحجازية" وذكر فيها بعض شيوخه، رجع بعد ذلك إلى عنابة وأصبح مدرسا بها وكان من أبرز تلامذته عبد القادر الراشدي القسنطيني (أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، 1998، صفحة 61،62).

للبوني مؤلفات عديدة من شعر ونثر[1] في مختلف المجالات الفقهية والعلمية، وبحسب بعض المراجع فقد خلف البوني أكثر من مائة تأليف حسب ما ورد في كتابه "التعريف بما للفقير من التأليف" الذي عدد فيه مخلفاته، وشملت مؤلفاته مختلف المجالات فهو جمع بين الحديث والفقه والتصوف (بوفلاقة س.، 2004، صفحة 238)، ومن بين ما خلفه في الحديث والسنة النبوية ما يلي: "نظم الخصائص النبوية"، و"إظهار نفائس ادخاري المهيآت لختم كتاب البخاري"، "نفح الروانيد بذكر بعض المهم من الأسانيد" (أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، 1998، صفحة 63)، "فتح الباري في شرح غريب البخاري"، و"الإعانة على بعض مسائل الحصانة "، و"الظل الوريف في الحث على العلم الشريف"، و"إتحاف الأقران ببعض مسائل القرآن"، و"طرز الحمائل في الشمائل" (نويهض، 1980، صفحة 50).

كما له مؤلفات أخرى في الطب فقد كان ممن أولوا عناية في مجال الطب وكتب فيه، فهو من أبرز من ألف في الطب بعد ابن حمادوش فجمع بين الطب والروحانيات في أعماله الطبية وله عدة مؤلفات في هذا المجال، فألف سنة 1116 هـ/ 1704م كتابه المسمى "إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة" والنسخة المتوفرة مبتورة

الأول ودراستنا تعتمد على هذا المخطوط (أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م، 1998، صفحة 421)، كما له مؤلف أخر في الطب موسوم بـ "مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب" في شكل نظم شعري ألفه في آخر حياته سنة 1132 هـ/ 1719م، موجودة نسخة منه في المكتبة الوطنية الجزائرية (البوني أ.، 1132هـ/ 1720م) [2]، وألف أيضا في مجال الطب كتاب "إتحاف الألباء بأدوية الأطباء"، و"منظومة حول منافع الثوم"، بالإضافة إلى ذلك ألف ملخص لكتاب "تذكرة داوود الأنطاكي (نويهض، 1980، صفحة 49)".

3- أهمية المخطوط :

تكمن أهمية المخطوط أولا في كونه يرجع إلى الفترة العثمانية وثانيا تناوله موضوع الطب فمن خلاله يمكن استنتاج معلومات جد قيمة في مجال الطب، وطرق الاستطباب في المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية، ورغم أن المخطوط مبتور البداية إلا أن قيمته لم تنتقص، فهو يشير إلى مجموعة من الأمراض والطرق الشائعة والمجربة في علاجها، وبالتالي امكانية التعرف على الأمراض المنتشرة في المجتمع في تلك الفترة الزمنية هذا من جهة ،ومن جهة أخرى التعرف على الطرق العلاجية لكل مرض والنباتات المستعملة في استخراج مستخلصات علاجية أو استعمالها بطريقة مباشرة ومن بين النباتات التي ذكرت في هذا المخطوط كدواء علاجي نذكر :" البصل، الريحان، خردل، بذور الكتان، حلبة ،المرجان الأحمر، الخروب، الكمون، الزعتر، الحبة السوداء، اللوز، اللوز المر، ورق القرع، السدر، الكزبرة، العليق، الدفلة، العسل ...وغيرها "، ومن بين الأمراض المذكورة في هذا المخطوط :"أمراض العين ، أمراض الأذن، القولون ،القروح، تزعزع الأسنان النقرس، السعال والسل، ضيق النفس، ورم الثدي، عرق النسا، السموم المأكولة والمشروبة، وكذا الأوبئة الطاعون ..." والعديد من الأمراض التي كانت منتشرة في تلك الفترة الزمنية.

إضافة إلى وصفه للأمراض فهو كذلك يصف طرق العلاج وكيفية استعمال الدواء المستخلص أساسا من النباتات المنتشرة في المنطقة ومثال ذلك ما تم ذكره :"... أمراض الأذن إذا قطر ماء بصل في الأذن نفعها من الصمم...الرطوبة السايلة منها إذا غلي ورق الأس وهو الريحان في خل وقطر فيها أذهبها ولعاب الصايم تقطيرا يذهب دودها ..." (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة 11)، وعن علاج مرض اللسان ذكر قائلا :"...ثقل اللسان الإكثار من أكل خردل ينفعه كتغرغر بفلفل وقشر الفستق ... ورمه امساك طبيخ حلبة في الفم مرارا نافع كذلك بذور الكتان...ضيق النفس شرب الكمون بخل نافع منه أو تبخير بكبريت..." (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة 12،13)، وغيرها من الوصفات فهو بذلك يصف الداء والدواء في نفس الوقت.

والملاحظ أن المؤلف أحمد البوني اعتمد في كثير من الأحيان على مصادر الطب العربي، فهو في مؤلفه هذا ذكر مجموعة من الكتب والمؤلفات الطبية، ومن الذين اعتمد عليهم نذكر: الشيخ الأجهوري، أبي الجوزي، الحريري، ابن سينا، ابن مرزوق، السيوطي، الحارث ابن كلدة، وما يلاحظ عليه أنه استشهد بهؤلاء الأطباء في آخر مؤلفه أثناء ذكره مجموعة من النصائح التي تحفظ الصحة كقوله :"...الإحتياط وقت الصحة خير من شرب الدواء عند المريض قلت الحمية خلو البطن من الطعام والبردة ادخال طعام على طعام قبل هضم الأول، ومن كلام حكيم العرب الحارث ابن كلدة المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ..." (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة 28)، وغيرها من النصائح، وما يجب ذكره أنه لا نعلم إذا ما كانت الأقوال التي استشهد بها صحيحة أو متصرف فيها مع مرور الوقت.

يمكن القول أن من خلال المخطوط يمكن استنتاج أساليب العلاج أو التداوي بالطرق التقليدية، أو يمكن القول بطريقة أخرى الممارسة الشعبية للطب في المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية، وكيفية تحضير الأدوية التي غالبا ما تصنع من مستخلصات نباتية التي كانت منتشرة في المنطقة، وكذلك من مستخلصات حيوانية مثل دهن الحيوانات والجلود، وبالتالي إمكانية التعرف على الثروة النباتية والحيوانية التي تزخر بها المنطقة وكيفية استغلالها طبيا من طرف الفرد الجزائري خلال الفترة العثمانية.

4- الممارسة الطبية في الجزائر (المعرفة الطبية):

في الحقيقة لا يمكننا أن ننكر أن الاهتمام بالعلوم الطبية في المجتمع الجزائري كان متحفظا، وبحسب المصادر الغربية وأبرزها مذكرات الأسرى و الرحالة الأجانب كان منعدما، وذكرت أغلبها أن الجزائر في الفترة العثمانية لا تعرف الطب الحديث ولا تحتوي على أطباء ماهرين، ومن بينهم نذكر الأسير الاسباني هايدو (Haedo) في أواخر القرن السادس عشر الذي أشار إلى غياب مهنة الطب وحسب قوله: "...لا يوجد في الجزائر كلها من يستطيع تضميد الجراح وايقاف النزيف..."، وكل الجراحين هم مسيحيون ماعدا إثنان فقط أحدهما من الأعلاج جنوي الأصل ويدعى شعبان والآخر أندلسي من فلنسيا، وكلاهما جاهل للطب (HAËDO, 1780, p. 157)، فين حين عبر الطبيب والعالم النباتي أندري بايصونال (Jean-André Peyssonnel) خلال رحلته إلى إيالة تونس والجزائر سنة 1724و1725م عن دهشته حول المعرفة الطبية للأطباء المحليين وعبر عنها بالمعرفة البدائية، حيث قال: "...أن جهلهم كبير لدرجة أنهم لا يعرفون ولا يعالجون أي مرض..." (Peyssonnel, 1838, p. 223).

بينما ذكر لوجي دوتاسي (Laugier De Tassy) في أواخر القرن السابع عشر وأوائل القرن الثامن عشر أنه لا يوجد طبيب واحد في مدينة الجزائر ولا في كافة الإيالة (de tassy, 1725, p. 125)، وهو نفس ما ذهب إليه الطبيب الإنجليزي شاو(Shaw) الذي زار الجزائر في مطلع القرن الثامن عشر وذكر أنها كانت تفتقر إلى الأطباء وأرجع ذلك إلى قلة الأمراض الخطيرة أو انعدامها، ورفض البعض التداوي وطلب المساعدة الطبية وانتظار الشفاء أو التداوي بالأعشاب، وذكر في موقع آخر أن قليلا من أصحاب المهنة من يعرفون أسماء الأطباء القدامى من العرب كالرازي وابن رشد (Shaw, 1830, p. 81).

في حين تأسف الطبيب الألماني فون ريهبندر(Von Rehbinder)الذي زار الجزائر في 1786م على اهمال الطب التجريبي وانعدام الكتب القديمة في هذه الفترة (Mersiol, 1932, p. 209) (غطاس، 1983، صفحة 122)، وهذا ما أكده سيمون بفايفر فقد أشار إلى وفرة الكتب باللغة العربية والفارسية والتركية وانعدام الكتب الأوروبية، وذلك بعد طلبه لكتب طبية خاصة بالجراحة من الخزناجي، وذكر حول هذا الموضوع قائلا: "...إني لا افتقد في بيته إلا الكتب، ولاسيما الكتب الطبية الخاصة بالجراحة، فأجاب...أنه لا يستطيع أن يحضر لي منها شيئا، أما إذا كنت بحاجة إلى كتب عربية أو فارسية أو تركية، فإنه يضع تحت تصرفي الكثير منها..." (بفايفر، 1974، صفحة 48).

لم يكن الأطباء الأجانب من رحالة وأسرى هم فقط من لاحظوا قلة الاهتمام بالجانب الطبي وقلة الأطباء فيه، بل حتى الرحالة من النساء مثل السيدة الانجليزية صوفيا برنارد(Sophia Barnard) التي لاحظت خلال رحلتها رفقة زوجها إلى الجزائر سنة 1811م قلة الأطباء في مدينة الجزائر غير أن المنطقة غنية بالأعشاب التي تكون دائما في متناول اليد وهو ما عبرت عنه بقولها:"...لم يكن هناك الأطباء في هذه المدينة المكتظة بالسكان، الطبيعة هي الغالبة هنا والأعشاب والجذور دائما في متناول اليد..." (Barnard, 1820, p. 57).

كما نجد أن أغلب المصادر الأجنبية تبنت فكرة عدم وجود أطباء في الجزائر وغياب تام لوجود أي مدارس لتعليم الطب وفروعه، كما أشارت إلى غياب وجود صيدليات ومستشفيات في الجزائر وأن جل المستشفيات الموجودة تأسست من طرف الهيئات الدينية المتكفلة بفك الأسرى من مختلف الدول المسيحية[3]، ومن أبرزها المستشفيات الإسبانية (Berbrugger, 1864, pp. 133-144) [4]، والتي تخصصت في مجملها بالعناية بالأسرى على مختلف أصولهم وفي هذا الصدد ذكر الأسير الأمريكي كاثكارت في الجزائر أن هذه المستشفيات كانت تقام بالقرب من السجون لكي يسهل نقل المصابين للعلاج ولاسيما في فترات الأوبئة، كما أضاف قائلا:"...كان جميع العبيد المسيحيين من مختلف المذاهب، البروتستانت والأرثوذكس...والكاثوليك يقبلون في

المستشفى..." (كاتكارث، 1982، صفحة 102)، وتسير هذه المستشفيات من طرف رجال الدين والقساوسة الذين يقومون بإدارة شؤونها.

وأشار بربريجر (Berbrugger) من خلال وثيقة أرشيفية حول أقدم المستشفيات المسيحية بالجزائر إلى أن هذه المنشآت الصحية لاقت اهتماما من السلطة الجزائرية وخاصة في عهد الداي شعبان(1692-1695م) الذي أولى عناية خاصة بها من خلال منحه مجموعة من الامتيازات لتسهيل عمل القائمين عليها ,Berbrugger) (1864, pp. 137-139، في حين أشار الطبيب شونبيرغ في أوائل الاحتلال الفرنسي إلى وجود مستشفى إسلامي عربي إضافة إلى المستشفى الاسباني والمستشفى الفرنسي، وذكر أن هذا المستشفى يقع أمام باب الوادي وكان عبارة عن بناية ملاصقة لمقبرة من الجهة اليمنى واليسرى وحولته السلطات الفرنسية لمستشفى (شونبيرغ، 2005، صفحة 79،80)[5].

كما لقي الأطباء الأجانب اهتماما وتقديرا من طرف الأهالي وهذا ما عبر عنه الطبيب والرحالة الألماني هابنسترايت(Hebenstreit) [6] قائلا:"... بل أصبحنا محل تقدير لكوننا أجانب ولأننا نمتهن حرفة الطب والتداوي بالأعشاب، فقد اعتادوا على تسميتنا بالباربيرو..."، وفي محل آخر يقول:"...لأن من يذهب للبحث عن النباتات ينظر اليه هناك بأنه متطبب أو مداوي بالأعشاب ويطلقون عليه اسم الباربيرو أو الحلاق هو الاسم الذي يعرف به الطبيب الذي يحظى لديهم بكل احترام وتقدير لمهنته هذه..." (هابنسترايت، ج.أو.، د.ت، الصفحات 23-56).

رغم تقدير الحكام ورجال السلطة للطب وإدراكهم أهميته إلا أن العناية به لم تتجاوز بعض المبادرات الفردية ولم يلق العناية الكافية، فقد كان أغلب المسؤولين يستعينون بالأطباء الأوروبيين، وفي هذا الصدد أشارت بعض الوثائق الأرشيفية المحفوظة في المكتبة الوطنية الجزائرية إلى عدد من الرسائل التي تتضمن استخدام الدايات والبايات للأطباء الأجانب[7]، ومن بينها رسالة مؤرخة في سنة (1188-1189هـ/ 1775م) يطلب فيها باي بقسنطينة من وكيل الباستيون في الشرق ارسال الطبيب الفرنسي لعلاج ابنه (الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1188-1189هـ/1775م)، ووثيقة أخرى تحمل نفس الموضوع مؤرخة في عام 1196هـ/ 1782م ومما جاء فيها: "الحمد لله من عبد الله...مولانا السيد صالح باي...فالذي أعلمكم به وهو أن ابننا الحاج مسعود بن زكري مريض، ودعتنا الحاجة للطبيب الذي عندكم...فالمراد منكم...ساعة وصول أمرنا إليكم تبعثون لنا الطبيب ولابد ثم ولابد ويأتي معه بالدواء..." (الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1196هـ/ 1782م)، ويمكن القول أن اعتماد الحكام الأطباء الأوروبيين ربما راجع إلى ثقتهم بكفاءتهم وقدرتهم الطبية.

وفي هذا الصدد ذكر الطبيب شونبيرغ في كتابه "الطب الشعبي" [8] ثلاثة أطباء أوروبيين قدموا إلى الجزائر لاستكمال بحوثهم الطبية وفي نفس الوقت قدموا خدمات طبية للحكام، أولهم الطبيب الإسباني اسانسي (Assensi) الذي كان يعمل طبيبا في المستشفى الاسباني بمدينة الجزائر، والطبيب الانجليزي بوهين(Bohen) الذي قدم خدماته لصالح الداي حسين في أكثر من موقع، والطبيب الثالث هو الطبيب السرديني ميارادي (Meardi) (شونبيرغ، 2005، الصفحات 49-81).

إضافة إلى هؤلاء الأطباء استخدم الحكام عددا من الأطباء الأسرى في الجزائر، ومن بينهم الأسير الألماني سيمون بفايفر الذي عاش في الجزائر خمس سنوات وعمل طبيبا لدى الخزناجي [9] (بفايفر، 1974، صفحة 4،5)، وأشار خياطي في كتابه إلى عددا من الأطباء الأسرى الأوروبيين في الجزائر (خياطي، 2013، صفحة 107،108)، ويمكن أن نرجع سبب اعتماد الحكام على الأطباء الأجانب لغياب أطباء أكفاء أو عدم وجود أطباء يمكن الاعتماد عليهم، والغريب إذا كان رجال الدولة من حكام وموظفين ساميين مدركين أهمية الطب والأطباء، لماذا لم يهتموا بهذا الجانب وتطويره، وتشجيع الأطباء المحليين الذين لديهم مبادرات فردية مثل ابن حمادوش؟

رغم ثقة الحكام في الأطباء الأجانب إلا أن هذه الثقة لم تكن موجودة عند عامة الناس، فكانت أغلب الأسر تمنع زوجاتهم وبناتهم من العلاج عند الأطباء الأوروبيين، وحتى إذا استعانوا بهم في معالجة نسائهم يكون بشرط عدم رؤيتهم أو الاطلاع على العضو المصاب في جسدهم، فقد حدث هذا الموقف مع الطبيب الألماني هابنسترايت وهو ما عبر عنه قائلا:"...وقد ترجاني أحد الأتراك...أن أعالج زوجته، وعندما طلبت منه أن أرى المريضة أجابني من الأفضل أن تموت على أن يراها أحد..." (هابنسترايت، ج.أو.، د.ت، صفحة 47)، ويمكن أن نرجع غياب الثقة في الأطباء الأوروبيين إلى التخوف من حدوث بعض التجاوزات غير الأخلاقية بحيث تشير احدى الوثائق الأرشيفية إلى مثل هذه الحوادث، فقد تم إعدام فتاة اتهمت بالزنا مع طبيب فرنسي (الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية الجزائرية، 1192-1193هـ/ 1779م).

يمكن ارجاع نظرة المصادر الغربية إلى الطب في الجزائر بأنه لا يرقى إلى الطب الحديث، كونه بقي علما مستقى من مؤلفات السابقين دون الاجتهاد فيه، وإن وجدت بعض المؤلفات فهي عبارة عن شروحات للكتب السابقة أو مختصرات لها، ومثال ذلك مخطوط مختصر الهارونية في الطب ومعرفة الأدوية[10] الذي نسخ في سنة 1208هـ/ 1793م، وذكر صاحبه أنه جمع هذا المختصر من كتاب الهارونية (مجهول، 1208هـ/1793م، صفحة ورقة1)، وسمي الكتاب " بالهارونية " نسبة إلى " هارون الرشيد" ، فقد أهداه إياه طبيب عربي مسيحي يسمى " مسيح عبد الحكيم "، ولد بدمشق فلقب بالدمشقي (خياطي، 2013، صفحة 73)، ورغم أنه يعود تأليفه إلى

الفترة الوسيطة إلا أنه كان معروفا في الفترة العثمانية من خلال نسخ مختصره في سنة 1793م ،وهو ما يفسر غلق باب الإجتهاد والإعتماد على ما سبق من كتب، وربما هو الأمر الذي فتح الباب لإختلاط الطب وامتزاجه بالخرافة وفتح المجال للسحر والشعوذة.

حتى إن وجدت بعض المؤلفات الطبية نجدها تجمع بين العلم والروحانيات لكون أصحابها يجمعون بين العلوم النقلية والعقلية وهي سمة العصر، ومن بينها المخطوط الذي نحن بصدد دراسته لأحمد بن القاسم البوني المسمى بإعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة، وكذا مؤلفه إتحاف الألباء بأدوية الأطباء، ورغم أن صاحب هذه الكتب ألف في الطب إلا أنه ليس بطبيب ولم يمتهن الطب أبدا، في حين سبقه إلى التأليف في مجال الطب عبد الرزاق ابن حمادوش[11] الذي اعتبر طبيبا بحق وامتهن الطب ومن أشهر أعماله في الطب مؤلفه "الجوهر المكنون من بحر القانون" والذي يعد موسوعة طبية وقسمه إلى أربعة كتب ، الكتاب الأول في السموم والثاني في الترياقات والثالث في الأمراض والرابع مرجح أنه بعنوان "كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب" وهو مطبوع (أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830م، 1998، صفحة 428) (ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب ط1، ، 1996)، كما ساهم عثمان بن حمدان خوجة التأليف في الطب في أواخر العهد العثماني فألف سنة 1836م كتابا حول كيفية الإحتراز من وباء الطاعون وجاء بعنوان "إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراز عن الوباء" (بن خوجة، 2007)، وغيرها من المصنفات الطبية (نفطي، 2019، صفحة 26،27) البعض منها محفوظ في المكتبة الوطنية الجزائرية(Fagnan, 1995) .

5- الطب الشعبي وطرق العلاج:

الطب الشعبي أو التقليدي هو موروث اجتماعي لعادات توارثتها الأجيال عبر العصور ،وهذا هو الحال في المجتمع الجزائري خلال الفترة العثمانية فقد كان الاهتمام بالطب أمرا ضروريا من أجل الحفاظ على صحة الإنسان حيث قال أبو القاسم سعد الله في هذا الصدد :"...كانت العناية بالعلوم الطبية أكبر من العناية بالعلوم الأخرى ما عدا الفلك خلال العهد العثماني ذلك أن الانسان كان في حاجة إلى المعالجة ...." (أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي 1500–1830م، 1998، صفحة 416،417)، ورغم ذلك كانت ممارسة الطب والطرق الاستشفائية بسيطة وغير معقدة، وتعتمد أساسا على النباتات والأعشاب الموجودة في المنطقة والتي تهتم بالجانب الخارجي من جسم الإنسان .

بما أن الطب الشعبي مهنة متوارثة عبر الأجيال يرثها الابن عن أبيه أو جده، فعادة ما يكون هناك خمسة أفراد من نفس العائلة يمارسون مهنة الطب الشعبي (Hilton, 1922, p. 7)، وكان التكوين المعرفي للطبيب يقوم

على ما كان يتلقاه من محيطه أو ما يرثه من نصائح أجداده وما تعلمه في دراسته الدينية من القرآن الكريم والسنة النبوية، فقد كان الطب الشعبي في البداية يعتمد أساسا على الطب النبوي بما احتواه من توجيهات وقائية وعلاجية، وكان بعض الأطباء يعتمد في تكوينه على دراسة كتب ابن سينا والرازي، ومنهم من سافر إلى الحجاز واحتك بأطباء آخرين وزادت معرفته وأصبح ذو شهرة (بوحجرة، 2015، صفحة 22)، والبعض منهم تفاوتت مصادر علمهم ورصيدهم التكويني، وكان جميعهم يملكون كتب ومخطوطات تم تسلمها من الآباء رغم أن البعض منهم يجيد اللغة العربية إلا أن البعض الآخر لا يعرف القراءة والكتابة وبالتالي أخذ معارفه المهنية بالتجربة، وهناك من اعتبر أن الكتب الطبية مليئة بالأخطاء ولا قيمة لها ولا داعي لمطالعتها، في حين البعض الآخر كان يعتمد على كتب طبية للحاج التلمساني ومحمد بن حاج الكبير ابن البيطار، والسيوطي وغيرهم من العلماء (Hilton, 1922, p. 9).

أما فيما يخص طرق التداوي فقد كانت الأدوية الشائعة في تلك الفترة تعالج الأمراض التي تصيب الجانب الخارجي من جسم الإنسان، فكانت جل الأدوية تركب من النباتات بمختلف أنواعها سوآءا معاجين أو أشربة، فوجدت العديد من الوصفات لمختلف الأمراض وهذا ما يتضمنه مخطوط "إعلام أهل القريحة" الذي نحن بصدد دراسته مجموعة من الخلطات الطبيعية لعلاج أمراض العيون، والأذن، والمعدة، والرأس، والسعال والسل، وأمراض القلب، وصعوبة الحمل، ومرض السل والصدر، وأمراض الدماميل والتقرحات، بالإضافة إلى انتشار بعض الأوبئة مثل وباء الطاعون، وغيرها من الأمراض المنتشرة في المجتمع الجزائري خلال تلك الفترة (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، الصفحات ورقة 11-29).

لقد استغل الأهالي مختلف الأعشاب والعقاقير التي كانت منتشرة في المنطقة للتداوي، وكانت خبرتهم بها مستقاة عن طريق التجربة لتصبح منتشرة فيما بينهم خاصة بعد نجاعتها في شفاء بعض الأمراض، وأشار المخطوط إلى العديد من الوصفات المجربة بذكره عبارة " مجرب صحيح" كقوله: "... ما يمنع سقوط الجنين... العقرب الميتة إذا علقت على حامل بعد جعلها محترقة لم تسقط أبدا ولو كانت عاداتها الإسقاط قلت مجرب صحيح..." (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة ورقة17)، ومن الأعشاب العلاجية التي ذكرها: السدر ،الكمون، الحناء، بذور الكتان ،حلبة ،المرجان الأحمر، الخروب ،الزعتر، الحبة سوداء، اللوز، اللوز المر، ورق القرع، كزبرة، العليق ،الدفلة، (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، الصفحات ورقة 11-29).

إضافة إليها العديد من النباتات والأعشاب التي توجد في كتب الطب التي تعود لتلك الفترة أو لفترات سابقة[12]، ومن بينها مخطوط مختصر الهارونية الذي تضمن عددا من الخلطات مكونها الأساسي النباتات، صاحب هذا المؤلف قسم الأعشاب والعقاقير إلى أربعة أقسام كل قسم منها يعالج نوعا من الأمراض وهي : الحلو، الحامض، المالح، الحار، و قسم الأمراض إلى أربعة أقسام أيضا مفسرا كل قسم زمانه وأعراضه وهي: الصفرا، السودا، البلغم، الدم، ويوضح ذلك قائلا:"...فعلى هذا التقسيم المعروف والأعشاب والعقاقير على أربعة لا خامس لهم كما أن الأمراض انقسمت على أربعة طبايع وذلك الصفرا والسودا والبلغم والدم أما الصفرا...زمانها الصيف والسودا...زمانها الخريف والبلغم...زمانه الشتاء والدم...زمانه الربيع..." (مجهول، 1208هـ/1793م، صفحة ورقة 1).

وفي هذا المجال –كما ذكرنا سابقا– ألف ابن حمادوش كتابا حول الأعشاب وهو عبارة عن قاموس أسماه "كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب"، وذلك بعدما تعلم عن النباتات واطلاعه على فوائدها وقدرته على صنع الأشربة والمعاجين ومختلف الخلطات ، وهو ما ذكره في رحلته قائلا:"... خرجت مع بعض الإخوان أحدهم يعرف الأعشاب لنتعلم منه، فتعلمن الأفثمون (الأفيون)... وركبت معجون ...وسميته معجون الصلاح... وطبخت شراب المصطكي وهو من أفخر الأشربة..." (ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش المسماة : لسان المقال عن النبإ في النسب والحسب والحال، 1983، صفحة 121،120).

كما وضح ابن حمادوش في موسوعته طرق صنع الأدوية المستخلصة من الأعشاب والحيوانات وطرق حفظها، كل حسب المناخ الذي تنمو فيه فذكر أن النباتات المتواجدة في المناطق المعتدلة تقطف في فصل الربيع وذلك بعد تمام نضجها، والمتواجدة في الأماكن الحارة تقطف في آخر الشتاء وأما الموجودة في الأماكن الباردة تقطف في أول الصيف، وأما عن طريقة حفظها ذكر قائلا: "... واذا أخذت الأعشاب فتنظفها من طينها وتجففها أولا في الشمس ولا يتم تجفيفها الا في الظل فاذا جففت حفظت في صنادق الخشب، وأما البذور فتجعلها في خرائط الجلد..." (ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب ط1، ، 1996، صفحة 9).

من الأدوية الناجعة التي كانت تستعمل لعلاج الحمى الكين أو الكينة فقد ذكرها ابن حمادوش في رحلته وذكر أنه عندما أصابته حمى شديدة وصف لنفسه علاجا يتكون من الكينة الممزوجة مع القهوة حيث قال:"...كانت أصابتني حمى شديدة، فلم أستطع القراءة، حتى ألهمني الله أن أشتري ثلاثة أثمان من الكين كينة... دققت الثمن الأول وشربته في فنجال قهوة..." (ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش المسماة : لسان المقال عن النبإ في النسب والحسب والحال، 1983، صفحة 84).

لعلاج مرض الدماميل فقد أكد البوني أن غسل البدن بورق القرع منع خروجها على الجسم، وإذا ظهرت يحمص المريض سمسم بقشره على نار حتى يكاد يحترق ويدق ويضمد به الدماميل فيشفى سريعا (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة ورقة20)، وقد عبر شونبيرغ عند دهشته حول نجاعة الجزائريين في علاج الدماميل فقد ذكر:"... أن طريقة الأطباء المحليين في معالجة الحروق والدماميل ناجحة كل النجاح، وخاصة معالجتهم لها عن طريق دواء لا يريدون التصريح باسمه وما من دمل إلا ويكون بنتيرات الفضة أو بالسكر والحديد الساخن..." (شونبيرغ، 2005، صفحة 52) .

ولتزعزع الأسنان وصف البوني خلطة مكونة من ورق العليق الذي يدق ويمضغ ويشدها في فمه أو يمضمض الفم بخل، وأما بالنسبة لوجعها فإن وضع الشب اليماني على السن أو الضرس ومسك عليه بما يقابله من سن سكن وجعها، غير أنه ذكر أنه لا شيء أنفع في وجع الأسنان مثل خل وملح (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة ورقة12).

الشائع أن لكل عشبة فائدة معينة وتعالج مرضا محددا فمثلا الريحان[13] يعالج الرطوبة السائلة من الأذن، والحلبة وبذور الكتان تداوي ورم اللسان، وأما بحة الصوت فذكر البوني وصفة خاصة وتتكون من أكل الثوم نيئا أو مشويا يصفي الصوت، وأكل الفجل مخلوط بالعسل على الريق صباحا ينفع وكذلك أكل لوز حلو وسكر وملازمة الحمام، (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، الصفحات ورقة 11-13) والواضح من خلال هذه الوصفة وجود عدة اقتراحات والمريض يجرب ما قد يساعده على الشفاء، بينما صاحب مخطوط الهارونية ذكر وصفة لعلاج صداع الرأس الشديد مشيرا أنها من السنة النبوية وهي تتكون من السانوج الذي يوضع في خرقة نظيفة ويجعل فيها من الماء شيء قليل ثم يعصر في الأنف فإنه يعافي (مجهول، 1208هـ/1793م، صفحة ورقة2)

لقد لاحظ الأطباء الأجانب من رحالة وأسرى أهمية الأعشاب ووفرتها في الجزائر واعتماد السكان عليها في مختلف خلطاتهم الطبية، وعبر فالطبيب الألماني هابنسترايت في رحلته عن دهشته لكون هذه الأعشاب تنمو أمام الأهالي وتستخدم كدواء لهم وذلك حسب قوله:"... أن نعمة الخالق جعلت الدواء الذي يحتاجونه في شكل نباتات تنمو عند أقدامهم..." (هابنسترايت، ج.أو.، د.ت، صفحة 57)، لذلك كلف العديد من الأطباء الأوروبيون بالبحث عن النباتات الطبية في الجزائر لصالح دولهم، ومن بينهم عالم النبات الأب بواريهL'abbé Poiret [14] الذي ذكر أنه من خلال رحلته إلى الجزائر كان يبحث في طريقه عن النباتات الطبية (Poiret, 1789, p. 47).

بينما ذكر شاو(Shaw) أن الأهالي يستخدمون لعلاج الحمى نبتة تدعى قلوبيلاريا Gloubilaria، وتعالج أمراض البرد بجذور البوكوكا Boukoka (Shaw, 1830, p. 82)، كما عبر شاو في موضع آخر أن هذه

الخلطات لا تخضع لوصفات دقيقة وانما الطبيب الذي يحضرها يقوم بإضافة ملعقة كمية غير محددة إلى الخلطة فمثلا يضع القليل من العشبة المجففة في المدق ليطحنها يضيف إليها حفنة من عشبة أخرى ويضاف إليها الماء المغلي (Shaw, 1830, p. 86)، ومن ثم تصبح دواء صالح للشرب.

وهو نفس ما أشار إليه شونبيرغ فقد ذكر أن الأطباء المحليين لا يلتزمون بالمقادير عند إعداد الأدوية وأن طريقة تحضيرهم للمستحضرات الطبية ليست تجريبية فحسب بل تخضع للصدفة إذ يأخذون كمية كبيرة طورا وكمية صغيرة طورا دون أن يهتموا بالإرشادات المتعلقة بالوصفات (شونبيرغ، 2005، صفحة 41)، رغم غياب الدقة في صنع المعاجين والمشاريب إلا أنها كانت في أغلب الأوقات نافعة شافية للأمراض الخارجية من جسم الإنسان، وإلا ما كانت منتشرة في الوسط الشعبي إذا لم تكن نافعة.

إضافة إلى الأعشاب والنباتات استعملت العديد من الوسائل للحد من انتشار المرض فأحيانا تبتر الأعضاء المصابة وكيها بحديد ساخن متوهج، وتكرر العملية على العضو المصاب مرة أو مرتين أو ثلاث حسب المرض وقوة تحمل المريض، وكانت تعالج الجروح الناجمة عن الأسلحة بوضع الزبدة الساخنة عليها، وفي بعض الأحيان يستخدمون الحجامة للعلاج (Shaw, 1830, p. 83)،(84 (شونبيرغ، 2005، صفحة 41)، وفي هذا الصدد ذكر الأسير والطبيب الأمريكي أبديك أندرهيل خلال أسره في الجزائر أن معرفتهم بالجراحة صغيرة جدا وكان الكي هو طريقتهم الفعلية والوحيدة لايقاف أي نزيف خارجي، وأضاف أنه أجرى أول عملية جراحية له في المستشفى وهي عملية بتر وكانت ناجحة مما أثار دهشة الأطباء الأخرين كما أجرى عملية لعين صبي فاقد البصر ونجحت هي الأخرى (Royall, 1797, pp. 87–90)، ومن خلال ما ذكره يمكن القول أن الجراحة الممارسة من طرف الأطباء الجزائريين هي عمليات بسيطة تعتمد على أدوات تقليدية، في حين كان الأطباء الأجانب لديهم مكتسبات علمية حول الطب ومجالاته في الجامعات مما سمح لهم بمعرفة كل ما هو جديد في هذا المجال ودرايتهم به، لذلك كان الطبيب الأجنبي محل تقدير وترحيب من طرف الحكام والسكان أيضا.

كما أشار مخطوط البوني "إعلام أهل القريحة" إلى الأمراض المستعصية التي لا يمكن علاجها لا بالأعشاب ولا بالكي والحجامة وتتمثل في الأوبئة التي اجتاحت الجزائر في عدة فترات زمنية أهمها الطاعون[15]، وذكر أن الاكثار من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم يمنع الإصابة به (البوني أ.، 1116–1126هـ/ 1704–1838م، صفحة ورقة22)، وربما يقصد هنا أن عجز المعالجين ايجاد دواء له وعدم القدرة على الاحتراز منه جعلتهم يلجؤون إلى الله والذكر والصلاة على الرسول صلى الله عيه وسلم، وفي بعض الأحيان الاعتماد على نظام الكرنتينة (La Quarantaine) الذي أشار إليه ابن حمادوش في رحلته حيث منع الباشا دخول ركاب

سفينة قادم من الاسكندرية حتى تأكد من سلامتهم من المرض (ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش المسماة : لسان المقال عن النبإ في النسب والحسب والحال، 1983، صفحة 121)، في حين أشار حمدان خوجة في مؤلفه "" إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراز عن الوباء" إلى عدم احترام تطبيق الحجر الصحي في أغلب الأوقات، بل تعدى الأمر إلى من حرمه من العلماء بل أجمعوا على رفض ومنع تطبيقه (خوجة، الصفحات ورقة 15-17)

لقد تفاوتت شهرة وخبرة طبيب إلى آخر فوجد في تلك الفترة الطبيب والحكيم، والجراح، كما عرف الحجام والختان والطالب، وكذلك المرابطون الذين اعتبروا أطباء معالجين أو مداويين للأمراض إما بالأعشاب أو بوضع اليد على الرأس (بوحجرة، 2015، صفحة 23) ، فقد كان التكفل بصحة السكان بين أيدي الطلبة والمرابطين الذين مارسوا العلاج بالطرق التقليدية المعتمدة على التجربة، وفي بعض الأحيان تعدت هذه الممارسات إلى انتشار الخرافة أو استعمال الشعوذة واستعمال التمائم للوقاية من المرض والأذى فقد ذكر البوني أنه كان في تونس وهجمت العقارب على البيت الذي كان يقيم فيه وكلما تحاول أن تدخل تموت، وذلك بسبب ما كان يردده (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة ورقة 23)، غير أنه لم يذكر لنا العبارة التي كان يرددها.

رغم اجماع الأطباء الرحالة والأسرى الأجانب بعدم وجود أطباء ومستشفيات، إلا أننا نجدهم يدونون الكثير حول الطب الشعبي ومختلف الأعشاب الطبية، بل إنهم اعتمدوا على بعض هذه الطرق التقليدية للعلاج واستعمال مختلف الأعشاب في تركيب الأدوية التي يصنعونها، فالطبيب الألماني هابنسترايت كان في رحلته يستعمل النباتات في صنع الدواء لعلاج المرضى وذلك حسب قوله:"... وقد استعملت في ذلك بعض النباتات الشائعة التي تنمو بناحيتهم وأوضحت لهم كيفية استعمالها... فقد كان يدفعني إلى ذلك ايماني أن نعمة الخالق جعلت الدواء الذي يحتاجونه في شكل نباتات تنمو عند أقدامهم..." (هابنسترايت، ج.أو.، د.ت، صفحة 57)، كما قام الطبيب الألماني سيمون بفايفر هو الآخر بالاعتماد على علاج تقليدي في علاجه لمرض الوزير حيث قال:"...وكان يعاني كثيرا من المتاعب بسبب السمنة المفرطة... غير أني لاحظت أن لديه التهابا في الكبد...فأرسلت من أحضر لي دم القنفذ، ووضعته فوق كبد المريض، ثم حضرت مزيجا من الشاي والسكر والصمغ العربي، وأمرت أن يتناول منه على الطريقة الأوروبية، ملعقة كل ساعة، ووصفت له حمية، وطلبت منه أن يتناول المشروبات الباردة... وفي اليوم التاسع قام الوزير يتجول في غرفته..." (بفايفر، 1974، صفحة 26).

لقد كانت هذه الطرق العلاجية البسيطة في أغلب الأحيان أداة فعالة في علاج بعض الأمراض، غير أنها لم تكن ناجعة في مواجهة الأوبئة الخطيرة التي عرفتها المنطقة مثل الطاعون، ولاقت استحسان الأطباء الأوروبيون فشونبيرغ قد ذكر أكثر من موضع نجاعة الوصفات العربية التقليدية الي يعتمدها أطباء الجزائر مثل طريقة علاج

مرض رمد العينين، كما انبهر بطريقة علاج الكسر بالجبس وهذه الطريقة لاقت استحسان ومؤيدين في أوروبا حتى أصبحت معتمدة بكثرة، وأضاف أن للجزائريين داخل مدينة الجزائر أو خارجها لديهم طرق ناجحة في معالجة أمراض معينة (شونبيرغ، 2005، الصفحات 45-53) .

6- امتزاج الطب بالسحر والشعوذة:

إن تعرض الإنسان إلى الأمراض التي يجهل أسبابها ويجهل علاجها، والتي في أغلب الأحيان تؤدي إلى موت صاحبها، الأمر الذي جعله ينسبها إلى قوى خارقة أو إلى قوى غير مرئية، كما انتشرت فكرة القضاء والقدر على أغلب سكان الجزائر والاستسلام للمرض باعتباره مرضا إلاهيا، في حين اضطر البعض الآخر إلى اللجوء للسحر والشعوذة والإيمان بوجود قوى تساعدهم على العلاج، والذي ساهم في انتشار هذا المعتقد هو عدم وجود تعليم طبي على غرار ما كان موجودا في أروبا، فممارسة الطب كانت حرفة يمارسها من يشاء بفعل الهواية أو الحاجة وغالبا ما كان المداوي يعالج المرضى وهو يجهل القراءة والكتابة (القشاعي ، د.ت، الصفحات 270-355)، وفي هذا الصدد ذكر القنصل الأمريكي وليام شالر أن علم الطب لا يوجد من يدعيه، وهذا اذا استثنينا المشعوذين وكتاب الحروز (شالر، 1982، صفحة 81)، وهذا ما ساهم في تفشي ظاهرة الخرافة وامتزاجها بالطب وايمان الأشخاص ببعض الأسباب غير الطبية للعلاج والشفاء كممارسة السحر وتعليق التمائم (Shaw, 1830, p. 83)، وذلك من أجل مواجهة الأسباب السحرية للمرض (Hilton, 1922, p. 8)،(9.

فكان الإيمان بقدرة الأولياء الصالحين أو المرابطين في الشفاء منتشرا في أواسط المجتمع، فأصبحت الأضرحة والزوايا عبارة عن مزارات من طرف الأهالي لطلب الشفاء من مختلف الأمراض العضوية والروحانية، أو لحل مختلف المشاكل الاجتماعية، ولذلك انتشرت فكرة تقديس الأولياء كونهم يملكون قوى خارقة، وبعد موتهم تبنى عليهم أضرحة من أجل زيارتها لطلب العون في حل بعض المشاكل أو طلب الشفاء، وكان كل ضريح مختصا في علاج مرضا معينا، فكان ضريح سيدي محمد بن يعقوب في تلمسان يعالج مرض العيون، وسيدي بوراس مختص في علاج الصداع النصفي، بحيث على المريض أن يشتري رأس خروف ويقوم بطهيه في البيت ويأكل في قبة المرابط مع الحرص على ترك العظام فيها، وعلى الشخص أو الأشخاص الذين يرافقونه في هذه الزيارة الإمتناع عن الدخول معه إلى قبة هذا المرابط لكي لا يتم نقل هذا المرض إليهم ،لأنه أول من يدخل بعد المريض يصاب بهذا المرض (Soulié , 1932, p. 480) (BEN CHOAIB , 1907, p. 252)، وكان ضريح يحي الطيار ينتظر منه الشفاء من الحمى والمس، إذ يكفي للمريض أن يستحم بماء منبع موجود هناك، ثم يبيت في الضريح حيث يتم استنطاق الجن واجباره على الخروج من جسم المريض، ولا يكتمل العلاج الا بزيارة ضريح سيدي الأكحل

الموجود بالقرب من ضريح يحي الطيار، وأما ضريح سيدي فليح الموجود في مقبرة سيدي عبد الرحمن الثعالبي فقد كانت البنات تزرنه لطلب الزواج حيث يطفن به ويرددن: سيدي فليح! سيدي فليح! أعطيني زوج وأعطيك عشرة سوردي، وأما ضريح عبد الرحمن الثعالبي كان يوجد في مقبرته شجرة خروب كبيرة يعتقد أن أوراقها تشفي الحمى (بودريعة، 2013، صفحة 371).

كان يوجد داخل هذه الأضرحة الطالب وهو عبارة عن طبيب روحاني يستقبل الناس، ويعالج الأمراض الروحانية مثل العين والسحر، وكان الاعتقاد أن كل الأمراض التي يجهل أسبابها يكون مردها إلى الجن الذي يصيب المريض، ولا يمكنه الشفاء إلا بطلب المساعدة من الطالب الذي لديه القدرة على تشخيص المرض وكيفية علاجه أو كيفية إخراج الجن من المريض (BEN CHOAIB , 1907, p. 251)، فقد كان هؤلاء المعالجون أو المرابطون الذين يعتقدون أن المرض من شأن الجن يعملون على ايجاد صيغة لتعويذة مقابلة لرد المرض (Boyer, 1963, p. 206)، أما الذين يعانون من مرض ما وقبل القيام بأي شيء يقومون باستشارة الطالب الذي لديه القدرة على التكهن، ويهدف هذا التشاور الكشف للمريض اسم المرابط الذي لديه علاقات سرية مع الجن الذي جعله مريضا ،وذلك بعد إعداد بعض التمائم مع عدد قليل من القطع النقدية، بالإضافة إلى ذلك يقوم تحديد نوع الحيوان المطلوب للتضحية به أثناء زيارة المريض المرابط والذي يكون من الدواجن أو الماشية، وكذا الطالب له القدرة بمعرفة لون الحيوان الذي يتم التضحية به لأنه كل جن له لونه المفضل، ويتم طبخ اللحم وتوزيعه على زائرين الضريح (BEN CHOAIB , 1907, p. 253).

وحسب هايدوHaedo أن هؤلاء المعالجين لديهم القدرة على العلاج من خلال استحضار الأرواح والسحر، وكذا ممارستهم مهنة الشعوذة، ويدعي معظمهم أن لديهم أرواحا تدخل رؤوسهم وتسمى جنون والتي تكشف لهم عن كل شيء، إذ يقوم هذا الطالب بعلاج الأمراض بكتابة التمائم في أوراق صغيرة أو على قطعة قماش بكلمات مجهولة أو مبهمة، وتعلق على رقاب الأطفال المرضى وحديثي الولادة وكذا للنساء اللواتي يعانين مشاكل مع أزواجهن أو تم تركهن، والأدوية التي يقومون بإعدادها تتكون من الضفادع، أسنان الكلاب، عيون القطط، أظافر الذئاب، فضلات القرود، أسنان الخنازير وغيرها من المكونات الأخرى (HAËDO, 1780, p. 107).

فكان الأهالي يعالجون هذه الأمراض الروحانية التي يرجعونها إلى الجن بالبخور والتمائم والذبائح وزيارة الأولياء والزوايا، ومن المعتقدات أيضا كانت النسوة مثلا يتوجهن كل يوم أربعاء إلى إحدى عيون مدينة الجزائر المعروفة بسبع عيون، ويقمن بذبح عدد من الدجاج، وكانت هذه العملية تتم صباحا حتى لا يزعجن الجن حسب اعتقادهن، والذي يخرج في الليل لشرب دماء التضحية (شويتام، 2005-2006، صفحة 281)، وقد ذكر هنري

كلين أن عين سبع جنون تعود لشخص سوداني يدعى بابا موسى والملقب بالبحري، وهي روح مائية من المياه العذبة قادمة من النجير، لذلك عادة ما تجتمع الزنجيات في هذه العين يوم الأربعاء لتقديم الذبائح أو القرابين لجنون هذه العين بهدف الحصول على علاج منهم أو تحقيق أمنية، ولابد أن تكون التضحية في النهار وليس في الليل وذلك كي لا ينزعج الجن الذي يأتي في كل مرة لكي يشرب الدم. (Klein, 1937, p. 187)

كانت النساء المسلمات إضافة الزنجيات تجتمعن في مجموعات مع الكهنة الزنوج لتبدأ عملية التضحية، وذلك بوضع أضحية فوق دخان الجاوي الذي يأخذ من أحد الصناديق السبعة المخصصة لعبادة كل جن من سبعة جنون، وتتميز هذه الصناديق السبعة كل واحد بلون معين: أبيض، أحمر، أسود، أزرق، أخضر، أصفر، برتقالي، ومن بين الطقوس الممارسة أمام هذه العين تدوير الديك والدجاجة سبع مرات على رأس الدجاجة ومن ثم على صدره وظهره، ومن ثم يذبح القربان باتجاه القبلة، وخلال هذا الحفل تشعل الشموع (Klein, 1937, pp. 187– 188).

ومن الممارسات والاعتقادات التي اعتمدها سكان الجزائر للعلاج ما ذكره أحمد البوني في مؤلفه السابق الذكر، حيث أشار إلى عدد من الأدوية والخلاطات التي جمعت بين العلم والخرافة، ومن بينها حين أشار إلى من يريد السعادة لابد أن يستعمل المرجان الأحمر واللؤلؤ من أجل تفريح القلب ومن أجل تقويته لابد من أكل قلب كل حيوان (البوني أ.، 1116–1126هـ/ 1704–1838م، صفحة ورقة13)، ومن أكثر الأمور غرابة التي ذكرها هي تلك التي تتعلق بموضوع الحمل والانجاب فكان يعتقد أن تعليق كمون أو لؤلؤ ومرجان أو زبد بحر أو عقرب يمنع سقوط الجنين حيث قال :"...ما يمنع سقوط الجنين شرب كمون أو تعليقه على امرأه يمنعها من الاسقاط كتعليق لؤلؤ ومرجان أو زبد بحر ...العقرب الميتة اذا علقت على حامل بعد جعلها محترقة لم تسقط أبدا ولو كانت من عاداتها الاسقاط ...." (البوني أ.، 1116–1126هـ/ 1704–1838م، صفحة 17)، وأما فيما يتعلق بأمراض العين فقد ذكر أن أرنب يابسة تسحق وتخلط بمسك شفيت بياض العين، وحول أمراض الأذن أشار الى أن مرارة البقر تنفع منه تقطيرا للصمم، ومن الأمور المتعلقة بالسحر ذكر أنه عند إقامته في تونس وهي كثيرة العقارب صيفا كان يردد عبارة تمنع من دخول العقارب بل وإن حاولت أن تدخل البيت الذي يقيم فيه تموت مباشرة (البوني أ.، 1116–1126هـ/ 1704–1838م، الصفحات ورقة 11–23).

ما يلاحظ أنه رغم مواجهة بعض الأمراض باستعمال السحر والشعوذة إلا أن الأهالي كما ذكرنا سابقا عجزوا عن مواجهة الأوبئة الخطيرة التي كانت تتعرض لها البلاد مثل الطاعون والكوليرا، واستعمال أشياء بسيطة لمواجهتها ومن بينها ما ذكره البوني فقد قال : ...أن استعمال القطران والبخور يدفع الوباء وأما الطاعون أكل سمن

بقر وشرب الكافور ينفع والاكثار من الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم يمنع الطاعون...ومن قال كل يوم ثمانية وعشرين مرة اللهم أحسن عافيتنا في الأمور كلها وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة أمن منه..." (البوني أ.، 1116-1126هـ/ 1704-1838م، صفحة ورقة22)، وبهذا فقد جمع أحمد البوني في مؤلفه بين العلم والخرافة في نفس الوقت، وتقديمه لمحة عن الواقع الطبي في المجتمع الجزائري والمعروف بالطب الشعبي والذي أصبح مع مرور الوقت جزء من العرف الاجتماعي.

كما لا يمكننا أن نغفل عن وجود فئة من المجتمع الجزائري التي تلجأ للعلاج والمداوة لا عند الأطباء الأوروبيين ولا عند الأطباء المحليين الممارسين للطب الشعبي ولا عند المرابطين والأولياء الصالحين، تلك الفئة من الناس تؤمن بالقضاء والقدر وتفسر المرض على أنه مرتبط بالقدرة والإرادة الإلهية وأن المرض والشفاء بيد الله.

خاتمة:

- وفي الأخير يمكن القول أن مخطوط إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة قد أعطى لنا لمحة أو صورة عن طبيعة الطب المتداول بين أهالي المجتمع الجزائري في الفترة العثمانية ،وهو طب تقليدي شعبي يعتمد في الأساس على التجربة المتوارثة بين الأجيال ،والتداوي بالأعشاب المتوفرة بشتى الطرق لمختلف الأمراض ،وأعطى أحمد البوني العديد من الوصفات التي جربها ،ولكنه في نفس الوقت قد استعمل الخرافة كوسيلة للعلاج، إذ امتزج العلم بالخرافة والسحر.
- ما تضمنه هذا المخطوط يعكس بحق الواقع الصحي في الجزائر خلال الفترة العثمانية، إذ كان الطب الشعبي هو الشائع واعتماد الأهالي طرق استشفائية بسيطة، بحيث كان العلاج مرهون بالطبيعة، لذلك انتشر الطب الشعبي أو التقليدي المعتمد على التجربة في أواسط المجتمع بشكل كبير، بحيث لا يمكننا إنكار فاعلية الطب الشعبي في العلاج والذي أصبح مع مرور الوقت جزء هام من الموروث الشعبي، فبعض الوصفات مازال تداولها مستمر إلى يومنا هذا.
- انتشار الأعشاب بصفة كبيرة في مختلف المناطق إذ كانت الجزائر تزخر بثروة نباتية، وهو أشارت إليه أغلب المصادر الأجنبية من خلالها حديثها عن الطب والأطباء في الجزائر أو من خلال وصف الجزائر بصفة عامة، فالنباتات كانت قريبة من المحيط السكني وبالتالي سهولة الحصول عليها الأمر الذي ساهم في امكانية الجميع في تحصيلها واستخدامها كل بحسب معرفته.

- استخدام الأعشاب ومختلف الموارد الطبيعية نباتية وحيوانية كمادة أولية في العلاج، وذلك من خلال استخلاص العديد من الخلاطات والعجائن والوصفات، والتي عرفت بناجعتها في علاج العديد من الأمراض، بينما فشلت في علاج أمراض أخرى ومواجهة الأوبئة الفتاكة مثل الطاعون، وقد اثبتت الدراسات الحديثة فعالية هذه الأعشاب في علاج العديد من الأمراض من خلال احتوائها على مستخلصات كيميائية تفيد في صناعة مختلف الأدوية.
- أن الاهتمام بالطب كان مغيبا بالنسبة للسلطة والاكتفاء بالاعتماد على الأطباء الأوروبيون وخبرتهم، وعدم إنشاء مدارس لتدريس الطب أو المستشفيات، الأمر الذي ساهم في انتشار الممارسات والمعتقدات الشعبية حول الطب وترسيخها داخل المجتمع، واللجوء إلى إعتماد طرق بسيطة للتداوي والتي أصبحت مع مرور الوقت ممزوجة مع الخرافة والشعوذة والسحر، والتبرك وتقديس الأولياء الصالحين وزيارة الأضرحة.
- إن ما ذهبت إليه المصادر الغربية حول الحالة المتردية للعلوم بصفة عامة والطب بصفة خاصة لا يمكن إنكارها مقارنة بالتطور الطبي في أروبا، ورغم نظرتهم للطب الشعبي بنظرة استغراب إلا أنهم استخدموه في كثير من الأحيان ولاقى استحسانا عند بعض الأطباء الأوروبيون.
- انتشار فكرة القضاء والقدر وعزوف فئة من الناس عن طلب العلاج عند الطبيب عدم الأخذ بأسباب العلاج بل الاكتفاء بالدعاء والايمان بأن الله إذا أراد أن يشفي أحدا فهو قادر على ذلك، وإذا لم يشفى فإنه ابتلاءا من الله لابد من الصبر عليه.
- لقد كان للمرابطين والأولياء الصالحين الأحياء منهم والأموات مكانة خاصة في المجتمع، نتيجة رواج فكرة قدرتهم على الشفاء فأصبحت أضرحتهم ملجأ لكل طالب شفاء بل واختص كل ضريح بشفاء مرض معين مثل العقم وصداع الرأس، وحتى الاستعانة بهم في الأمراض الروحية كالعين والحسد وفك السحر أو حمايتهم منها.
- امتزاج الطب في كثير من الأحيان بالخرافات والسحر والشعوذة التي كانت منتشرة خاصة بين النساء اللواتي غالبا ما يلجأن إلى بعض الطلبة أو المرابطين لطلب الشفاء أو الاستعانة بهم لتحقيق رغبة معينة.

الهوامش:

1- لقد كان أحمد البوني متعدد الثقافة فكان مهتما خاصة بعلوم الدين والفقه والحديث، فألف فيها العديد من المنظومات الشعرية ونظم كتاب غريب القرآن الكريم للعزيزي في نحو أربعة آلاف بيت، ونظم الخصائص الكبرى للسيوطي في نحو ثمان مائة بيت، ولم تقتص منظوماته الشعرية على علم الفقه فقط بل نظم في علم التراجم والتاريخ من خلال المنظومة المسماة "الدرة الماصونة في علماء وصلحاء بونة" تتكون من ألف بيت. للمزيد أنظر: (بوفلاقة س.، 2004، صفحة 235).

2- مخطوط "مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب" وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية ، تحت رقم 1757، وهو عبارة عن موسوعة صغيرة حول الأدوية وطرق العلاج ومختلف المأكولات والمشروبات قسمها إلى فصول ويحتوي كل فصل على أكثر من ألفي بيت وقد بدأ نظمه بداية تقليدية مبينا أن دافعه هو الحديث القائل بأن الطب نصف العلم وبعض مما جاء فيه :

يقول أحمد الفقير البوني هو ابن قاسم الرضى المصون

الحمد لله الذي أباحا الطيبات زادنا أرباحا

جاعل علم الطب نصف العلم كما أتى عن النبي نصف الحلم

أنظر: (البوني أ.، 1132هـ/ 1720م، صفحة ورقة 1).

3- حيث كانت ترسل مختلف الهيئات الدينية بعثات مكونة من رجال الدين إلى مدينة الجزائر ومختلف المدن الإسلامية في شمال إفريقيا، وكانت المهمة الأساسية لآباء الثالوث المقدس وغيرهم من الآباء تتمثل في إفتداء الأسرى على اختلاف جنسياتهم، للمزيد أنظر: (خشمون ، 2006-2007، صفحة 55)

4- لقد كانت المستشفيات المسيحية جزء من النسيج الحضاري لمدينة الجزائر وأبرزها المستشفى الاسباني الذي كان يقدم المساعدة الطبية للأسرى المسيحيين على مختلف جنسياتهم، بل يستقبل في بعض المرات حتى بعض المرضى من المسلمين، وفي هذا الصدد ذكر الأب خيميناسLe père Ximénez خلال رحلته للجزائر وإشرافه على المستشفى الاسباني خلال سنة 1718م أن المستشفى الاسباني أصبح يستقبل أعدادا كثيرة من الأسرى وكذلك من المهتدين إلى الإسلام المقصود بهم الأعلاج، وبهذا كانت هذه المستشفيات تقدم خدمات لغير المسيحيين. (Ould Cadi Montebourg, 2006, p. 167) حول الموضوع المستشفيات أنظر: (Ould Cadi ((Kelin, 1913, p. 88 ،Montebourg, 2006, pp. 187-201)

5- هذا المستشفى العربي الإسلامي كما سماه شونبيرغ كان يتألف من قاعتين كبيرتين تشبهان القبة كانتا تابعتين لأحد المساجد، ورغم أنها كانت واسعة غير أنها لم تكن تحتوي على أثاث مناسب لمشفى، وحول إلى مستشفى من طرف الفرنسيين لعلاج العرب كما أطلق عليهم شونبيرغ (شونبيرغ، 2005، صفحة 80)، وهو في الأصل مسجد يدعى مسجد الجنائز لأنه كان يصلى فيه صلاة الجنازة للمتوفين ومنه يدفنون في مقبرة باب الواد، غير أن اسمه هو مسجد الحاج باشا الذي جدده سنة 1545م، وكانت له أوقاف خاصة ولكن السلطات الفرنسية حولته جزء من المستشفى المدني وبعد سنتين إلى مخزن مركزي للمستشفيات العسكرية (أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، 1998، صفحة 30،31).

6- هابنسترايت ج.أو. هو رحالة ألماني من أهالي نوشتادت أون أورلا(Neustadt Orla) الواقعة بمقاطعة الساكس بألمانيا، درس الطب في شبابه بجامعة ييتا (Iena)، اشتغل عند أحد التجار الأغنياء فأوكلت إليه مهمة العناية بالنباتات النادرة، وهذا ما سمح له بمواصلة دراسته والحصول على مؤهل سمح له بمزاولة مهنة الطب، كلفه ملك بولونيا برئاسة بعثة علمية إلى شمال إفريقيا سنة (1670-1733م) من أجل التعرف عن كثب على نباتات وحيوانات تلك المنطقة (هابنسترايت، ج.أو.، د.ت، صفحة 13،14).

7- تحتوي الوثائق العثمانية المحفوظة بالمكتبة الوطنية الجزائرية على عدد من الوثائق المتعلقة بأطباء الدايات والبايات، ومن بينها تلك المحفوظة في المجموعة رقم 1641 ومن بينها نذكر:

- وثيقة 51 : رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون عام 1187-118هـ/ 1774 م ، من أجل إرسال الطبيب الفرنسي الموجود في قسنطينة إلى القالة .

- وثيقة 53 : رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون عام 1188-1189هـ/ 1775 م ، طلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالج ولد الباي .

- وثيقة 56: رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون عام 1185هـ/ 1771-1772م، طلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة ليعالج الحاج محمد بوعباية قائد الزمالة في قسنطينة.

- وثيقة 59: رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون عام 1190هـ-1191هـ/1777م، توجه وكيل الباستيون إلى فرنسا للعلاج وتعيين من يخلفه في وظيفته.

- وثيقة 75: رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون عام 1196هـ/ 1782م، طلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة إلى قسنطينة ليعالج الحاج مسعود بن زكري.

– وثيقة 84: رسالة من صالح باي إلى وكيل الباستيون عام 1201–1202هـ/ 1787م، طلب إرسال الطبيب الفرنسي المقيم في القالة إلى قسنطينة، وإخباره بعدم إبداء أي خوف من الوباء الذي حل بالمدينة لأنه توقف انتشاره.

8- شونبيرغ ألبر يشت فون طبيب دنماركي مولود في 27 سبتمبر 1782م، درس في كوبنهاغن ثم في جامعة غنوتيهن بألمانيا، وبعد تخرجه من الجامعة تولى عدة وظائف في القطاع الصحي حيث عين رئيسا للأطباء في المستشفى العسكري النمساوي، ثم عمل في عددا من المستشفيات، ونظرا لشهرته في المجال الطبي استدعاه الفرنسيون ليكون أحد الأطباء المرافقين لهم في حملتهم على الجزائر، فلبى الدعوة وهكذا أقام في مدينة الجزائر ما بين سنتي 1830و 1832م. (لزغم، 2019، صفحة 108)

9- سيمون بفايفر ولد في " راينهسن "(Rhenhssen) حوالي سنة 1810 م ،ودرس الجراحة في سن مبكرة ومن ثم سافر إلى هولندا حيث انضم الى مدرسة حربية وتكون فيها ، وفي احدى خرجاته الى البحر أسر وأخذ إلى الجزائر وعاش فيها خمسة سنوات (1825 – 1830)، واشتغل طاهيا في قصر الخزناجي ومن ثم طبيبه الخاص (بفايفر، 1974، صفحة 4،5).

10- مختصر الهارونية في الطب والأدوية هو مخطوط لمؤلف مجهول، وهذا المخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية الجزائرية في قسم المخطوطات ضمن مجموع مخطوط تحت رقم 1772 –CD495 تحت اسم رسالة صغيرة في الطب.

11- عبد الرزاق ابن حمادوش عاش خلال القرن الثاني عشر هجري / الثامن عشر ميلادي، ولد سنة 1107هـ/1695م بمدينة الجزائر وتوفي بعد تسعين سنة في تاريخ ومكان مجهولين، كان له مساهمة في مجال الطب والصيدلة من خلال مؤلفاته وكذا بعض خلطاته الطبية من معاجن ومشارب. أنظر: (ابن حمادوش، رحلة ابن حمادوش المسماة : لسان المقال عن النبإ في النسب والحسب والحال، 1983، صفحة 9) (نفطي، 2019، صفحة 34)

12- لقد أشار لوسيان لوكليرك في كتابه تاريخ الطب العربي إلى عدد من الأطباء المسلمين من مختلف المناطق بداية من الفترة الاسلامية وصولا إلى الفترة الحديثة، للمزيد أنظر: (LECLERC, 1876)

13- ذكر ابن حمادوش في مؤلفه كشف الرمز الريحان باسم آس وقال: " آس هو شجرة الشلمون والعامة تقول له الريحان...وهو جيد لقطع الإسهال مسود للشعر طبيخه ودهنه..." (ابن حمادوش، كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب ط1، ، 1996، صفحة 16).

14- الأب جون بواريه (Jean-Louis Marie Poiret) هو رئيس دير وعالم نبات ومستكشف فرنسي، في عام 1785و 1786م أرسله لويس السادس عشر إلى مدينة القالة بالجزائر للبحث وجرد النباتات الموجودة هناك، لذلك ألف كتاب حول رحلته ونشر في باريس سنة 1789م، وهو عبارة عن مجموعة من الرسائل المكتوبة عن المنطقة. للمزيد أنظر: (Brahimi, 1972)

15- عرفت الجزائر خلال الفترة العثماني ظهور عددا من الأمراض والأوبئة ومن أخطرها وباء الطاعون الذي فتك عددا كبيرا من السكان في كل مرة يجتاح فيها البلاد، ومن بينها وباء 1790م الذي سمي بالوباء الكبير نظرا لبقائه فترة زمنية طويلة، وكذلك وباء 1792م الذي استمر إلى غاية 1804م (الزهار، 1974، صفحة 51) (القشاعي ، د.ت، صفحة 112،113)، نقله البحارة من القسطنطينية لينتشر بشدة سنة 1793م (Marchika, 1927, p. 141).

الملاحق:

الملحق رقم01: الصورة الأولى من بداية مخطوط إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة والمتمثلة في الورقة 11

الملحق رقم 02: الصورة الأخيرة من نهاية مخطوط إعلام أهل القريحة بالأدوية الصحيحة، والمتمثلة في الورقة 29.

الملحق رقم 03: خاتمة المخطوط من كتابة الناسخ

"...وأن يتقبل منا ساير عملنا بفضله وقبول لنا أجرا اللهم انفعنا فيما علمتنا وزدنا علما تنفعا به يا كريم يا رحمن يا رحيم وانفع بجميع كتبه جميع أهل الإسلام...وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أجمعين الحمد لله رب العالمين ورحمة الله مؤلفهم أحمد بن قاسم بن محمد ساسي البوني التميمي المسيتي المالكي الأشعري غفر الله له... وكل ذلك أوائل شهر ربيع الثاني من سنة ستة عشر ومائة وألف ختمها الله وما يليها بخير أمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين والحمد لله رب العالمين انتهى على يد كاتبه عبد ربه...الفقير إلى رحمة مولاه الراجي عفوه ورضاه حسن بن أحمد رحمه الله الجميع منهم أمين سنة 1254 "

قائمة المراجع:

- **المراجع العربية:**

- ابن حمادوش عبد الرزاق، (1983). *رحلة ابن حمادوش المسماة : لسان المقال عن النبإ في النسب والحسب والحال.* (سعد الله أبو القاسم، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- ابن حمادوش عبد الرزاق، (1996). *كشف الرموز في شرح العقاقير والأعشاب ط1،* (الإصدار ط1). لبنان: دار الكتب العلمة.
- أبو القاسم سعد الله ،(1998). *تاريخ الجزائر الثقافي 1500-1830م* (الإصدار ط1، المجلد 2). بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.
- أبو القاسم سعد الله، (1998). *تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954* (الإصدار 1، المجلد 5). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- بوحجرة عثمان، (2015). الطب والمجتمع في الجزائر خلال العهد العثماني 1519-1830. 22. جامعة وهران، الجزائر.
- بفايفر سيمون ،(1974). مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر . (أبو العيد دودو، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- البوني أحمد بن القاسم ،(1116-1126هـ/ 1704-1838م). إعلام أهل القريحة في الأدوية الصحيحة. مخطوط بالمكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

- البوني أحمد بن قاسم ،(1132هـ/ 1720م). مبين المسارب للأكل والطب مع المشارب. ورقة 1. المكتبة الوطنية الجوائرية– قسم المخطوطات–.
- بوفلاقة سعد، (01 جانفي, 2004). أحمد البوني وكتابه: التعريف ببونة إفريقية بلد سيدي أبي مروان الشريف. التراث العربي(ع 93،94)، الصفحات 233–248.
- بوفلاقة سعد، (ديسمبر, 2015). الشيخ الإمام أحمد بن قاسم البوني: تأملات في حياته وأثاره. بونة للبحوث والدراسات(23،24)، الصفحات 20–81.
- بودريعة ياسين ،(ديسمبر, 2013). المعتقدات في كرامات الأولياء بمدينة الجزائر في العهد العثماني. *مجلة العلوم الانسانية*(40ع)، صفحة 371.
- خشمون حفيظة ،(2006–2007). مهام مفتدي الأسرى والتزاماتهم الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية. جامعة منتوري قسنطينة.
- خوجة بن عثمان بن حمدان، (2007). *إتحاف المنصفين والأدباء في الإحتراز عن الوباء* . (تحقيق : محمد بن عبد الكريم، المترجمون) الجزائر: منشورات وزارة الثقافة.
- خوجة بن عثمان بن حمدان ،(بلا تاريخ). *إتحاف المنصفين والأدباء في الاحتراز عن الوباء*. مخطوط.
- خياطي مصطفى، (2013). *الطب والأطباء في الجزائر العثمانية* . الجزائر: منشورات ANEP.
- الزركلي خير الدين ،(1986). *الأعلام* (المجلد 1). بيروت، لبنان: دار العلم للملايين.
- الزهار أحمد الشريف، (1974). *مذكرات أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر*. (تحقيق: أحمد توفيق المدني، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- شالر وليام ،(1982). *مذكرات وليام شالر قنصل أمريكا في الجزائر 1816–1824م*. (اسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- شونبيرغ ألبر ياشت فون ،(2005). *الطب الشعبي الجزائري في بداية الاحتلال* (الإصدار 1). (أبو العيد دودو، المترجمون) الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- شويتام أرزقي، (2005–2006). المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519–1830. جامعة الجزائر2، الجزائر: رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر.
- غطاس عائشة، (جويلية– أوت, 1983). الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني. *مجلة الثقافة*(ع76)، الصفحات 121–130.

- القشاعي فلة موساوي ،(د.ت). الواقع الصحي والسكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني وأوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871 ،منشورات بن سنان ووزارة الثقافة ،الجزائر ،ص ص.270-355. الجزائر: منشورات بن سنان ووزارة الثقافة.
- كاثكارث جيمس، (1982). *مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب*. (اسماعيل العربي، المترجمون) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- لزغم فوزية ،(5 6, 2019). الطب والأطباء بمدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني من خلال الطب الشعبي الجزائري بداية الاحتلال الفرنسي. *مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية،م 5*(ع2)، الصفحات 106-130.
- مجهول. (1208هـ/1793م). *مختصر الهارونية في الطب والأدوية* . قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية.
- نفطي وافية، (29 ماي, 2019). مسألة علوم الطب والصيدلة عند علماء الجزائر خلال العهد العثماني. *آفاق فكرية،م 5*(ع10)، الصفحات 20-53.
- نويهض عادل، (1980). معجم *أعلام الجزائر* (الإصدار ط 2). بيروت، لبنان: مؤسسة نويهض الثقافية.
- الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية الجزائرية. (1188-1189هـ/1775م). *وثيقة 53*.
- الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية الجزائرية. (1192-1193هـ/ 1779م). وثيقة 66.
- الوثائق العثمانية، المكتبة الوطنية الجزائرية. (1196هـ/ 1782م).
- هابنسترايت، ج.أو.، (د.ت). *رحلة العالم الألماني هابنسترايت إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ/1732م) ، ترجمة وتقديم : ناصر الدين سعيدوني ، دار البصائر الجديدة ، الجزائر ، ص.ص.23-56*. (ناصر الدين سعيدوني، المترجمون) تونس: دار الغرب الإسلامي.

- **المراجع الفرنسية**

- Berbrugger, A., (1864). charte des hôpitaux chrétiens d'Alger en 1694 . *Revue Africaine*(8), pp. 133-144.
- de tassy, L. ,(1725). *histoire du Royaume d'Alger* . Amsterdam: chez Henri du Sauzet.
- HAËDO, F. ,(1780). *topographie et histoire générale d'Alger* . (T. d. BERBRUGGER, Trad.) IMPRIMÉ À VALLADOLID EN 1612.
- Kelin, H., (1913). L'Hôpital espagnol en 1703. *Revue Feuillets d'El-Djezair*(6), p. 88.
- Mersiol, E., (1932). La Régence d'Alger vue par un Allemand à la fin du 18eme siècle . *Les Travaux du Deuxième Congre National de Sciences Historique*, (p. 209). Alger.
- Peyssonnel, J.-A., (1838). *VOYAGES DANS LES REGENCES DE TUNIS ET D' ALGER* (Vol. 1). (p. D. Malle, Trad.) PARIS: LIBRAIRIE DE GIDE.
- Poiret, L., (1789). *Voyage en Barbarie* (Vol. 1). Paris: Chez J. B. F. Née de LA ROCHELLE , Libraire.
- Shaw, T., (1830). *voyage dans la régence d' Alger.* (t. d. Carthy, Trad.) paris: chez Marlin éditeur.
- BEN CHOAIB , A., (1907). Les marabouts guérisseurs . *revue africaine*(51), p. 252.
- Boyer, P., (1963). *La vie quotidienne a Alger l la veille de l'intervention Française.* Librairie Hachette.
- Brahimi, D., (1972). un informateur de l'abbé Raynal: l'abbé Poiret, auteur du "voyage en Barbarie". *Dix-Huitième siècle*(4), pp. 237-253.
- Fagnan, E., (1995). *catalogue des manuscrits de la bibliothèque nationale d'Algérie* (éd. 2). Alger: Bibliothèque Nationale d'Algérie.
- Klein, H., (1937). la fontaine des génies. *Les Feuillets d'El-Djezaïr, volume récapitulatif*, pp. 187-188.
- LECLERC, L., (1876). *Histoire de la Médecine Arabe* (Vol. 2). Paris: Ernest Leroux.
- Marchika, J., (1927). *la peste en Afrique septentoriale, histoire de la peste en Algerie de 1363 à 1830.* Alger: Jules Carbonel.
- Ould Cadi Montebourg, L., (2006). *Alger, une cité turque au temps de l'esclavage À travers le Journal d'Alger du père Ximénez, 1718-1720* (éd. Nouvelle édition [en ligne]). Presses universitaires de la Méditerranée.

- Soulié , H., (1932). *l'Assistance médicale des indigènes en Agérie- Hygiène et pathologie nord-Africaines* (Vol. 2). Paris: Masson et C. éditeurs.

- **المراجع الانجليزية**

- Barnard, S. (1820). Travels in Algeirs, Spain, with a Faithful and interesting account of the Algerines. London: Goyder.
- Hilton, S. (1922). Arab medicine and surgery ,A study of the healing art in Algeria . London oxford university press.
- Royall, T. (1797). the Algeriene captive, or the life and adventures of Doctor Updike Underhill: six years a prisoner among the Algerines (Vol. 2). printed at walpole, published according to act of Congress.